العراقي المحتال في كندا

د. حامد العطية

أول ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن العراق استشراء الفساد فيه، الذي طال الهرم السياسي والإداري عمودياً وأفقياً، فكانت الفضيحة الكبرى في تاريخه بل تاريخ الأمم سرقة مليار ونصف دولار من حسابات الضرائب الحكومية المودعة في مصرف الرافدين الحكومي أكبر المصارف العراقية، وبعد مرور شهور عديدة على ذلك لم تكشف كافة تفاصيل سرقة القرن ولم يسترد من المبلغ المسروق سوى النزر اليسير. أنا ضحية الفساد العراقي لكن ما دام العراق كله محتل من قبل أمريكا وللموساد الصهيوني حصة فيه فأي قيمة لعشرات الدونمات المنهوبة وغيرها من الحقوق المهدورة.

سرقة القرن وفيضان الفساد مصيبة والأعظم منها فضيحة جامعة البصرة، فأي درك انحدر له المجتمع العراقي الذي تبدي فيها ما يزيد على 1300 فتاة استعدادها لمقايضة جسدها مقابل حفنة من الدرجات، ويمر الحدث وكأن شيئاً لم يكن، إذ اكتفت الجامعة ومن خلفها الحكومة بعقوبة الأستاذ المجرم المخالف لأصول وقواعد مهنته الشريفة أكاديمياً، ولم نسمع كلام الوعيد والنذر من علماء دين هالهم الانفساخ الخلقي والتفريط في الدين في بيئة كانت تظن محافظة ومتدينة.

عندما يمتلأ الإناء ينضح بما فيه، فلا غرابة أن يتمدد الفساد العراقي إلى بلاد المهجر، كندا مثالاً، هي الأخرى فاسدة ومفسدة،

لذلك يكثر المحتالون فيها، ويأتيها الفاسدون من كل حدب وصوب، إن كنت من الصين تحمل في حقيبتك ملايين اختلستها فسيمدون لك سجادات الترحيب، وسيغسلونها لك في كازينوهات القمار أو شركات العقارات، وستنقطع أنفاس الحكومة الصينية ولن تقبل كندا بترحيل الصيني المختلس. تخدعك كندا عندما تطمئنك بأن ما ينتظرك فيها عيش رغيد وعمر طويل، فتفاجأ بأنهم يزدرون شهاداتك، قلت لهم بأنها من بريطانيا أمكم الحنون فلم تحن قلوبهم، وعذرهم جاهز ليس لديك خبرة كندية، يقنعون بها عنصريتهم، واسألهم هل طلبتم من ملكتكم الإنكليزية خبرات كندية قبل طبع صورتها على نقودكم؟ فلا يجيبون، لولا الطغيان والاحتلال الأمريكي الذي لم يبرح أرض العراق لما بقيت ساعة واحدة في كندا.

أول نصيحة سمعتها: اطلب العون من جماعتك! وجدتهم يصلون في مخزن كبير لتاجر يحظر عليهم انتقاد الطاغية في بغداد، تباً له، وأول عراقي عرفته في المنفى المفروض رجل دين شيعي*، يقبض راتب لأجيء إنساني ويعمل سراً في متجر مخفياً دخلة الإضافي لئلا يوقفون راتب اللجوء، لا تحوي خزانات الملابس في شقته المتواضعة ملابس جديدة لعائلته لأن موظفي الهجرة يكبسون شقق اللاجئين ولو جدوا فيها جديداً من الملابس أو غيرها لفتحوا تحقيقاً من أين لكم هذا؟ أقصى ما كان يتمناه قبل أن يثري ويستغني الحصول على شهادة إعاقة، جسدية أو نفسية أو عقلية، غير مهم، لأنها ستمكنه من

*تعمدت ذكر العنصر الإثني والدين والمذهب لكل عراقي لأن النظام العراقي الفاسد والمتخلف مقسم اثنياً ودينياً وطائفياً.

راتب جزيل ومستديم، فلا حاجة لمصدر رزق آخر، ذكرني بالعراقيين المتهافتين في زمن حرب صدام على التردد على عيادات الأطباء يشتكون من الشيزوفرانيا وغيرها من أمراض عقلية لعلها تنجيهم من قادسية الطاغية، وزميل عمل بطول وعرض باب يحضر طاوياً ظهره مثل أحدب مشتكياً من فقراته كلما سمع بإنفاذ جماعته في الجيش الشعبي إلى جبهات القتال.

استعنت بعراقي شيعي في طباعة مواد لمشروع ثقافي وتربوي، فرضت علي شروط الهجرة إنشاءه، بكلفة باهظة مقابل جهد هزيل، رافضاً الإفصاح عن أرباحه من المشروع، ولأن شروط الهجرة والتجنس فرضت علي توظيف كندي لمدة سنتين على الأقل عرضت عليه ذلك فوافق، تصورتها مجرد شكليات لا أكثر، فلا دوام ولا عمل فعلي، فلا يستحق راتباً مني، لكنه طالب وقبض لعامين من دون خجل، فكلفته بطباعة كتاب على الحاسب الآلي، فقدم لي نسخة ورقية فقط غير قابلة للتصحيح والتعديل فرميتها في القمامة، وتصنع الزعل في آخر لقاء لنا ومضى من غير رجعة.

كان العراقي الثالث المسيحي صريحاً ومن أول لقاء بالصدفة: اكذب واحتال واخدع لتحصل على وظيفة! تلك كانت نصيحته بعد شكواي من رفض أو اهمال أكثر من مئة جامعة وكلية ومؤسسة طلباتي للتوظف، صارحني بأنه واجه نفس العقبة فلم يتردد، ملأ سجله الوظيفي بخبرات وهمية وحصل على وظيفة براتب مجزي، وعندما عرفته كان يمتلك منزله الخاص ويتكفل بمصاريف دراسة أبناءه، وسارع لبيع بيتهم في العراق بثمن بخس قبل أن تصدر الحكومة الأمريكية أوامرها لحكومة العراق بمنع التحويل الخارجي إلا بموافقة مندوبها السامي. لم أعمل بنصيحته لذلك كل ما جنيته

من نقود في كندا فيما يزيد على ربع قرن 25 دولاراً مكافأة على قصيدة منشورة في مجلة (أرك).

يبرع عراقيون هاجروا بلجوء إنساني في الحصول على راتب شهري مضاعف، إذ يدعي المتزوجون منهم بأنهم مطلقون كذباً وتحايلاً، فيقبض الزوج وزوجته راتب لجوء كامل، ولا أدري ما يقولون لو وجدهم مفتش الهجرة مقيمين في نفس المسكن.

أطلق مصطلح الشطار على اللصوص والمحتالين في العصر العباسي، وفي عصرنا الأغبر غدت صفة حميدة للبارع، وذلك العراقي كان شاطراً بالمعنى الكلاسيكي، رغب بالهجرة إلى كندا واختار أيسر الطرق، راسل فتاة كندية من أصل عراقي، الاثنان من الشيعة، فقبلت بالزواج منه ونجحت في استحصال موافقة الهجرة الكندية، بشرط أن تتكفله مالياً لمدة عشر سنوات، فلو استلم من الحكومة الكندية إعانة بذريعة أو أخرى تتحمل هي تعويض الكنديين عنها، لم يمض وقت طويل حتى اختفى وقطع الاتصال بها، وكان في تلك الشهور والسنين المنقضية على تواريه عن أنظارها يقبض إعانة شهرية من الحكومة الكندية تستوفيها من حسابها المصرفي، خسرت الزوج ومدخراتها، وبعد اليأس من عودة الزوج المخادع لجأت إلى رجال دين شيعة ليطلقوها، فرفضوا لأن مدة اختفاءه لم تبلغ النصاب الشرعي، عشر سنين أو أقل أو أكثر لا أتذكر، وأخيراً وجدت شيخ دين على المذهب السني فوافق وطلقها فوراً، فكان خلاصها من الزوج المحتال.

قريبي تعيس الحظ، ابن الزوجة الأولى المطلقة، مهندس معماري خريج جامعة دمشق، رافق أباه في منفاه، تزوج مرة بأمر أبيه وطلق مرة بأمره أيضاً، أكثر ما جناه من أبيه الشتائم والإهانات العلنية،

وبتدبير أبيه هاجر إلى كندا مع زوجته وولديه، ليرتاح أبوه من عبء ابن غير مرغوب به ولتبدأ معاناة الابن، عمل سائق أجرة وحلم بجمع مال يكفي لشراء شاحنة كبيرة، في الوقت الذي كان أبوه يمتلك مئات الألاف من الدولارات رقد احفاده المفتقرين في كندا على فراش محشو بالجرائد، لكنه لم يتأخر هو وغيره في التبرع بما تيسر من نقوده القليلة لتشييد حسينية خاصة بالعراقيين في مدينتهم بمقاطعة تورنتو، استلمها رجل الدين صاحب المشروع، طال الأمد ولم تشيد الحسينية، فطالبه المتبرعون بإعادة التبرعات فلم يستجب، وكان قريبي أكثرهم إلحاحاً، فنقم عليه رجل الدين، أخبرني رجل دين آخر بأنهم سمعوا تهديد ووعيد صاحبهم المعمم فنصحوه: اتركه! كانوا يعرفون بنيته المبيتة واكتفوا بكلمة لم تؤخر تنفيذ انتقامه، وبالاتفاق مع أفراد عائلته استدرج المعمم قريبي سائق الأجرة الفقير وقتلوه في سيارة الأجرة خنقاً بسلك معدني، غير مكترثين لتوسلاته بأبوته لطفلين صغيرين، ووصف شرطي كندي مشهد الضحية بأن رأس قريبي تدلى بخيط رفيع من الرقبة وجلدها، وذهل لتبجح القتلة وافتخارهم بجريمتهم الشنيعة التي عدوها "دفاعاً عن شرف أبيهم" هي أعراف القبيلة الصنمية في العراق وفي كندا تعلوا ولا يعلوا عليها شرع الله أو مواد قانون.

أطلت فصبر جميل، فلم يبق سوى فصل أخير من الاحتيال العراقي في كندا. انخرم سقف البيت القديم، بفعل حيوان خبيث، إذ كندا في الأصل غابات ومياه وحيوانات برية وقلة من البشر، احتلها العنصر الأبيض، فقتلوا الحيوانات لفرائها، وقطعوا الأشجار لخشبها، واستأصلوا سكانها الأصليين فلم يبق منهم سوى قلة مضطهدة ومحرومة. اخترم الحيوان الخبيث الموبوء بالفيروسات السقف ونزل

داخل البيت فاستعنت بمكافحي الحيوانات الضارة وبكلفة قاربت الألف دولار لطرده، ولترميم السقف وقع حظي العاثر المزمن منذ ولادتي على أحدهم وافق على انجاز المهمة، وما أن حضر حتى تملص من بعضها ولم يقبل بسوى ترميم صفائح السقف، وتبين أثناء الحديث بأنه عراقي كردي مجهول الدين والطائفة، لكنه أخبرني بأنه متزوج من مسيحية، ولحماقتي وثقت به، جاء بالسلم وصعد إلى السطح، حيث قضى أقل من ثمان دقائق لينزل ويؤكد لي بأنه رمم السقف واستبدل ست صفائح. نقدته المائتي دولار التي طلبها في اليوم التالي شاهدت من الطابق العلوي صفيحة مفقودة، فساورني الشك واتصلت بمرمم سقوف آخر الذي وافق على تزويدي بصور للسقف قبل تنفيذه المهمة، فتأكد لي بأن العراقي الكردي لم يستبدل صحيفة واحدة، وبأنه مخادع غبي إذ كنت أنوي الاستعانة به في استبدال صفائح السقف بعدة آلاف من الدولارات، فطالبته بإرجاع المبلغ الذي سرقه مني فرفض مدعياً وبكل غباء بأنه أصلح السقف لكن لربما عادت الحيوانات وخربته مجدداً أو أن الأمطار التي هطلت أفسدت عمله ظناً منه بأني غبي وأحمق مثله. اشتكيت للشركة الكندية العملاقة التي تنشر إعلان الكردي العراقي فأهملت شكواي لأن كندا قبلة المحتالين.

أخيراً أتمنى له ولكل المحتالين والفاسدين من العراقيين وغيرهم انطباق المثل الدارج عليهم: من عاش بالحيلة مات بالفقر، ولتكن ميتة زؤام عاجلة.